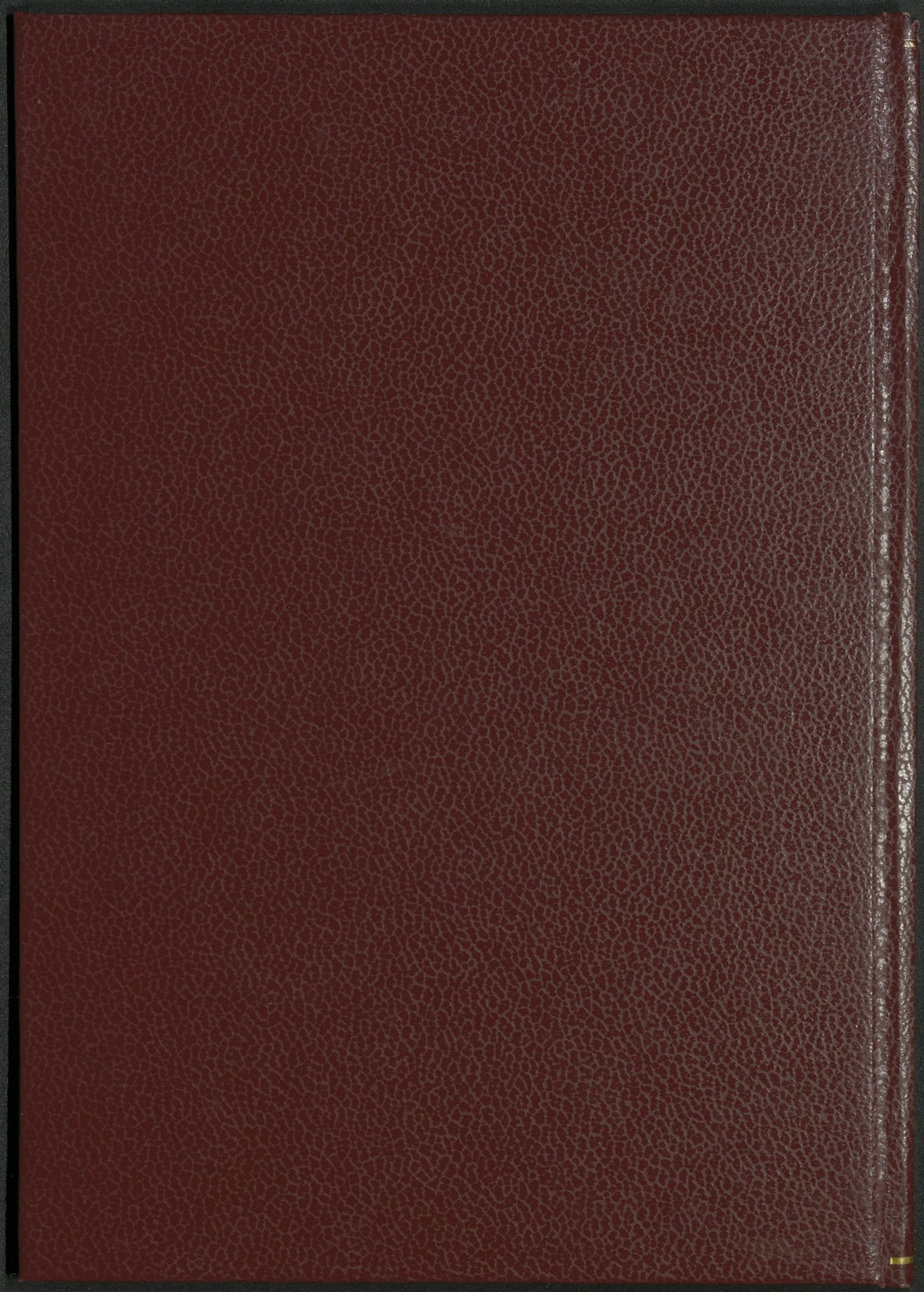
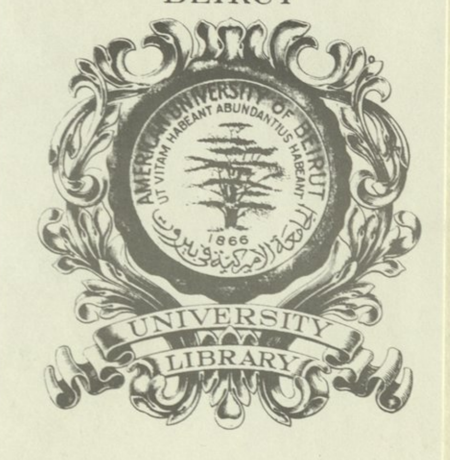


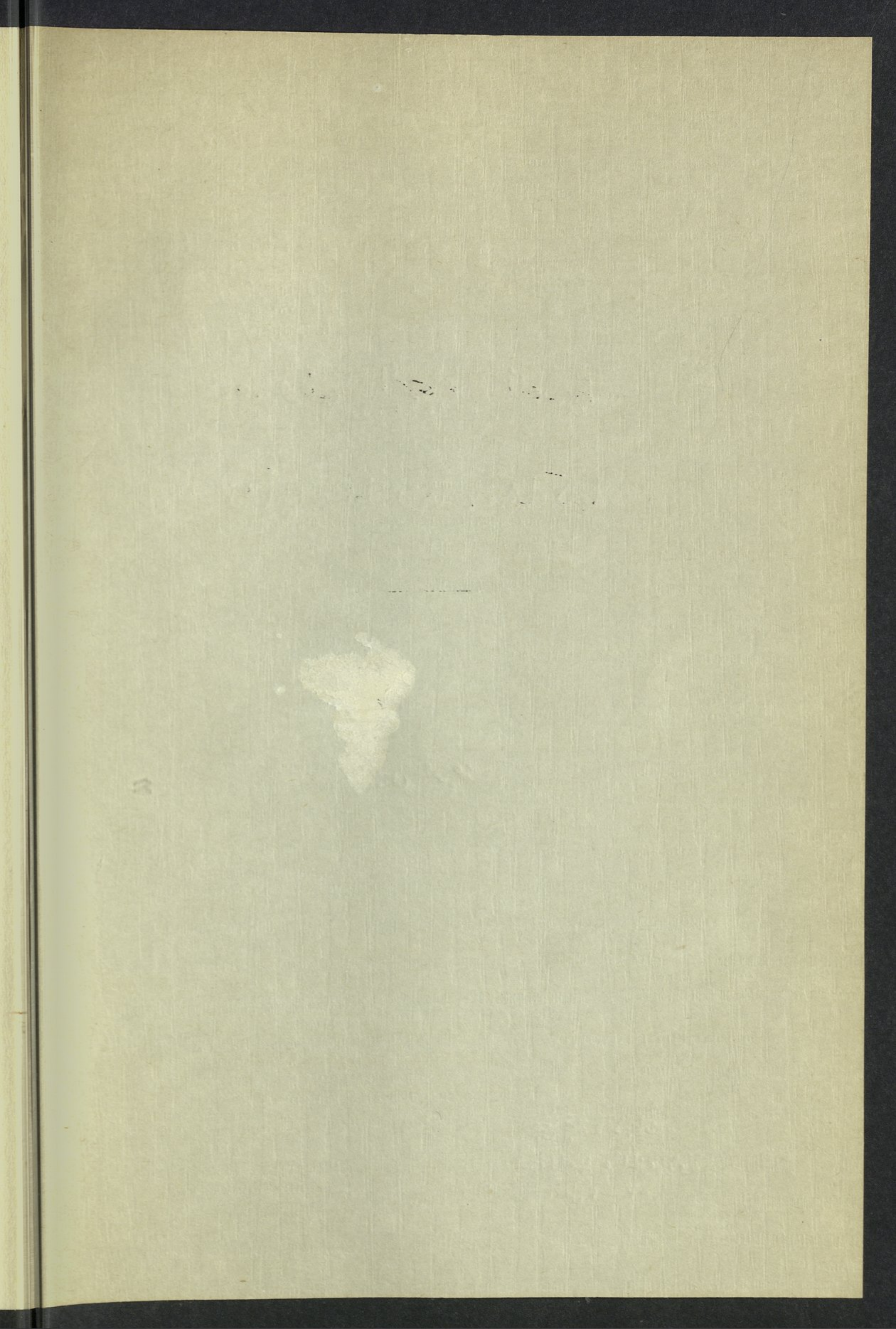

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الأميركية في بيروت
UNIVERSITY
LIBRARY

حروف الهجاء العربية

نشأتها ، تطورها ، مشاكلها

انيس فريحة

عن مجلة «الابحاث»
السنة الخامسة ، الجزء الاول
ص ١ – ٣٢



الأبحاث

مجلة تصدرها الجامعة الأميركية في بيروت

السنة ٥ — الجزء ١ رئيس التحرير: سعيد حمادة اذار سنة ١٩٥٢

حروف الهجاء العربية

نشأتها، تطورها، مشاكلها

توطئة

ليس لصورة الحرف قدسية ، انما القدسية لما يرمز اليه الحرف : الفكر. وليس للآلهة في تطور الحرف يدٌ ، انما هـو رمز اعتباطيٌ اخذه المتمدنون عن الوثنيين ضرورةً لتدوين كلامهم . والكتابة ، كما يقول ابن خلدون ، داخلة في « عداد الصنائع الانسانية » .

وليس لامة ان تدّعي الفضل في خلق فكرة الكتابة ، فان كثرة الشعوب في تقدمها الحضاري ، منذ العصور الحجرية ، شعرت بضرورة وضع نظام لتدوين الفِكَر . وقصة الكتابة قصةُ تطورٍ مستمر من تصوير جميل(١) ، احياناً ، الى

(١) كان الخط المصري القديم (الهيروغلوفي) في طوره الاول صوراً جميلة فنية يقوم برسمها كهنة وفنانون ، ولكن عندما عالجت هذه الصور ايدي العامة اخذ الخط بالتقهقر والابتعاد عن الفن . ولم يكن الخط الفينيقي في اول عهده تام الصنعة ولكن عندما اقتبسه الاغريق ادخلوا عليه تحسينات عديدة .

رسوم قبيحة الشكل ، او على عكس هذا ، من رسوم قبيحة الى حروف جميلة في اشكالها وتناسبها .

والخط العربي من الخطوط المعقدة ، يكثر فيه الابهام وتشيع في اشكاله الفوضى . وقد شعر العرب بهذه المشاكل منذ صدر الاسلام فتعهدوه بالتحسين ، ولا سيما بعد ان نشأت المدرسة. ولكن رغم الاصلاح المتواصل الذي طرأ عليه، يشعر مفكرو العرب اليوم ان هذا الخط لا يسهل على القارىء القراءة ، ولا يعينه في تتّبع الفكرة التي يقرأها الا بعد مران قاسٍ طويل . ولذا عني مجمع فؤاد الاول للغة العربية بتبسيط الخط وقد وضع جائزة كبيرة لمن يتقدّم اليه بخط تتوفر فيه البساطة والجمال وسهولة الطبع .

والغرض من هذه العجالة ان نلقي نظرة عامة سريعة على تطور الخط العربي ومشاكله ، فننقل الى القارىء العربي بعض ما توصل اليه الغرب في هذا الحقل ، ثم نذكر شيئاً عن الحلول المقترحة لتبسيطه . ولا ينتظرن القارىء منا ان نلمّ بالموضوع من جميع اطرافه ، ولا ان نُسهب ، انما غرضنا إثارة الموضوع على صعيد العامة من الشعب، لاننا نلحظ في جميع قضايانا الفكرية انها تُثار على صعيد الخاصة فيتحمس لها الناس زمناً ، ثم لا تلبث ان يتناساها الناس ، وتستمرُّ الامور في مجراها القديم .

الخط العربي من اكبر مشاكل اللغة العربيـة . والعرب التواقون اليوم لمواكبة الحياة يرون في خطهم اكبر عائق في سبيل القضاء على الامية ونشر الثقافة بين الجماهير . وقد آن لهم ان يُعيدوا النظر فيه . وانا اعلم ان القضية اخطر من ان يتناولها فرد ، او ان تحكم فيها فئة من الناس . القضية تهمُّ العرب اجمعين ، ولذا يجب ان نشترك جميعاً في الرأي لنكوّن رأياً عاماً منوّراً يساعد الهيأة التي سيكون لها الكلمة الفاصلة في هذه القضية .

الكتـابة

الكتابة ظاهرة انسانية عامة ، وهي قديمة العهد لجأ اليها الانسان منذ ان اصبح انساناً . وقد مرت في اطوار(١)رئيسية خمسة :

(ا) الطور الصوري ، او الطور المادي عندما كانت ترسم المادة عيناً . فاذا اراد الانسان القديم ان يرسل الى صديقه رسالة يقول فيهـا انه ذاهب الى صيد السمك فلم يكن عليه الا ان يرسم صورة رجل بيده قصبة في رأسهـا شص متجهاً نحو بحيرة فيها سمك . وهو طورٌ مرّت فيه جميع الشعوب القديمة المتحضرة، وهو الطور الذي لا تزال اقوام متأخرة تعيش فيه .

(ب) الطور الرمزي ، عندما اصبحت الصورة ترمز الى فكرة او امر معنوي يصعب تصويره . كيف يتأتى للرجل القديم ان يصور النهار ؟ هذه مشكلة صعبة ، ولكنه توصل اخيراً الى استنباط صور ترمز الى المعنى . صورة الشمس المنبعث منها الضياء تصلح ان تكون رمزاً للنهار وللضياء وللمعان . و كيف يمثل الجوع ؟ برسم رجل بائس يده في فمه . و كيف يمثل الكفّارة ؟ بطبق عليه خبز او تقدمة اخرى . ولا يزال شيء من هذا في الكتب التي هي من نوع «الدليل» فاننا نشير الى وجود مركز للبريد والبرق بصورة اعمـدة التلغراف وخطوطه ، ونشير الى المطعم بملعقة وسكين و كأس ، والبنك بصورة تحويل ماليّ .

(ج) الطور المقطعي ، وهو بالفعل بدء الكتابة الهجـائية . في هذا الطور تمثل الصورة مقطعاً يمكن استخدامه في تهجئة كلمات لا علاقة لها بالصورة ذاتها ، كما كان الامر في الكتابة البابلية والمصرية القديمة . مثلاً ، لو افترضنا افتراضاً

(١) عندما نتكلم في قضـايا الاجتماع عن « اطوار » لا نعني ان الطور يبـدأ في سنة معينة وينتهي في سنة معينة ليبدأ طور ثان . هذا مخالف لسنن التطور الاجتماعي . كثيراً ما يكون الطور السابق داخلاً في الطور اللاحق ، وكثيراً ما نجد الطورين او الثلاثة جنباً الى جنب في حقبة واحدة، كما حدث في تطور الكتابة عند المصريين القدماء كما سترى .

بعيداً ان كاتباً مصرياً او بابلياً اراد ان يكتب كلمات تبدأ بالمقطع « يد » (كما في يَدْهَس ويَدْحر) فانه كان يصوّر صورة يد ويطلب الى القارىء ان ينسى ان هذه يد بل هي مقطع هجائي . ثم انه كان يرسم صوراً اخرى قيمتها الصوتية تعادل المقاطع الاخرى التي يريدها . وقد وفّق المؤرخ الاميركي برستد (Breasted) في توضيح هذا الامر عندما مثّل عليه بكلمة belief ، فلو ان المصري القديم اراد ان يكتب هذه اللفظة فانه كان يرسم صورة نحلة (bee) وصورة ورقة (leaf) (١) .

(د) الطور الصوتي او الاكروفوني(٢) وفيه يلجأ الكاتب الى تهجئة الكلمات باستخدامه صور اشياء يتألف من هجائها الاول لفظ الكلمة المعنيّة . مثلاً اذا اراد ان يكتب كلمة « زيت » فانه يرسم رسماً يبدأ بالزاي (زهرة او زنبقة) وآخر يبدأ بالياء (يد) وآخر يبدأ بالتاء (تينة) .

من سوء حظ هذا الكاهن او (الكهنة) الذي ابتدع هذه الطريقة ، التي ادّت فيما بعد الى وضع حروف الهجاء الصرفة ، ان التاريخ لم يُبقِ لنا اسمه ، وإلاّ لكان عن جدارة في عداد المشاهير في تاريخ المدنية . لانه اذا كانت حروف الهجاء الفينيقية قد وضعت على هذا المبدأ — وليس هناك ما يشير الى عكس هذا — فانهم، الفينيقيين، يكونون قد اقتبسوا الفكرة عن المصريين(٣). غير ان المصريين لم يستغلوا هذا الاكتشاف ، ولم يستطيعوا تجريدها ولا

---

(١) في هذا النوع من الكتابة يعتبر اللفظ فقط ، لا طريقة الكتابة التاريخية للفظة .

(٢) Acrophony وهي كلمة يونانية مؤلفة من Acros البدء ، ومن Phone الصوت ويشيرون بها الى مبدأ اتخاذ الصورة كرمز للهجاء الاول من اسم الصورة . اي صورة الكلب ترمز الى ك وصورة غزال الى غ ، على نحو ما يعلمون الصغار اليوم حروف الهجاء فيقولون لهم ب = بطة... الخ .

(٣) استعمل المصري القديم في كتابته قرابة ٢٤ صورة اكثر اسمائها يتألف من هجاء واحد ، كصورة الفم (= شفتين) وترمز الى حرف الراء لان الفم اسمه ru ، وقد استخدم هذه الصور كحروف هجاء .

استطاعوا ان يتخلصوا من الكتابة الصورية جملة . فاننا نرى في الكتابة المصرية القديمة محافظة شديدة (ذلك لانها كانت في الاغلب وقفاً على الكهنة لانها نشأت في المعابد) ففيها الكتابة الصورية المحضة والرمزية والمقطعية والاكروفونية . اما التاجر الفينيقي الذي كان همّه السرعة والكفاءة وسير الاعمال فانه جرّد هجاءه تجريداً تاماً .

(ﻫ) الطور الهجائي الصرف ، الذي لم يعد فيه للصورة من معنى ماديّ ، بل اصبحت الصور ، او على الاصح ما تبقى من شكلها ، رموزاً تدل على اصوات معيّنة . وهذا الطور يعود الفضل فيه الى الفنيقيين سكان الشاطىء الممتد من اللاذقية شمالاً الى الكرمل جنوباً الى البقاع وقليلاً بعده الى الشرق . وهذه الحروف الهجائية اصبحت اماً لكل هجاء تالٍ بما في ذلك الحرف اللاتيني .

لم يحفل الفينيقي كثيراً بالكتابة كفن من الفنون الجميلة كما كان ينظر اليها الكاهن المصري في هيكله ، بل كان همه تصريف الامور التجارية . ففي القرن الخامس عشر ق. م. او السادس عشر(١)وضع ٢٢ حرفاً مرتبة ترتيب ابجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت.(٢)وهذه الحروف هي عينها الحروف الآرامية والعبرية . وقد حافظ هؤلاء على اسماء الحروف وترتيبها كما كانت عند الفينيقيين ،

(١) كان يظن قبل اكتشاف نقش الملك أحيرام في جبيل (Byblos) الذي يعود تاريخه الى القرن الثالث عشر ق. م. ان وضع الحروف الهجائية لا يتجاوز القرن الثاني او الثالث عشر ، ولكن صور الحروف في هذا النقش تفرُض ان يكون زمان وضعها سابقاً للقرن الثالث عشر ببضعة قرون ، اذ يجب ان يكون بين زمن وضعها وزمن أحيرام فترة تطور وصقل مديدة .

(٢) كنا نعجب ، كاطفال يتعلمون الهجاء ، من هذه الاسماء التي لا اذكر ان معلماً فسّرهالنا. بل كان الواحد منا بعد استظهار ا ب ت... الخ يعود فيتعلم ابجد هوز... الخ ، ولم افقه لها معنى حتى عنيت بدرس اللغات السامية. وقِدماً حيرت هذه الاسماء رواة العرب الاقدمين فحاكوا حولها أساطير وخرافات كما سترى بعد .

واستعملوها للعدد(١) كما يستعملها العرب ايضاً في حساب الجمَّل . وكان لستة حروف منها ، وهي التي تجمعها كلمتا « بجد كفت » لفظان (التاء : ت ث ، والدال: د ذ ، والكاف: ك خ... الخ) فيصبح عدد الهجاء ٢٨ . وعن الفينيقيين اخذ الاغريق هذه الحروف الصامتة(٢) ولكنهم ادخلوا عليها تحسينات عظيمة باضافة الحروف المصوّتة ، اي الحركات لانهم اي الاغريق ، لحظوا ان هذه الكتابة التي تقتصر على رسم الحروف الصامتة دون الحروف المصوِتة كتابة ناقصة ، ولا يمكن ان تشيع بين الناس ، بل تظل وقفاً على الطبقة الارستقراطية عقلًا وثقافة (٣). اما الاغريق الديمقراطيُّون فكان همهم ان تشيع بين الجماهير.

وقد نشأت في القرن التاسع عشر قضية اكاديمية حول اصل الحروف الفينيقية، اهي من صنع الفينيقيين ام هي اقتباس؟ واين نشأت اولاً، في فينيقيا ام في بقعة اخرى؟ ولكن هذه القضية لا تمسّ الجوهر الذي يسلمّ به كل مؤرخ: الفينيقيون هم اول من كتب بحروف هجائية صرفة، وحروفهم هذه هي ام كل هجاء تالٍ.

(١) الارقام الهندية ١ ٢ ٣... الخ ، التي يسميها الفرنج ارقاماً عربية ، طارئة في اللغات السامية . فانهم كانوا يستعملون حروف الهجاء ، ولذا رتبوها في شكل كلمات يسهل تذكرها ، فكانت ا = ١ ، ب = ٢ ، ج =٣ ،.... الخ الى ت = ٤٠٠ ، ثم عندما أضافوا الروادف ثخذ ضظغ اعطوها ايضاً قيمة عددية . والعرب يعطون الفضل في وضعها للهنود ، ولان الفرنج اخذوها عنا فانهم يعطوننا الفضل في هذا العمل العظيم .

(٢) تقول الاسطورة الاغريقية ان الذي علمهم الهجاء الفينيقي كان قدموس Cadmus (واسمه فينيقي = قدِم = الشرق) الذي ارسله ابوه ليفتش عن اخته اوربا (= عربا = الغرب وهي لفظة فينيقية) التي اختطفها زوس من على الشاطىء اللبناني عندما كانت تستحم. ولكن في تطوافه في بلاد الاغريق اوعز اليه في هيكل دلفي ان يكف عن التفتيش ويتبع عجلة ، وحيث تقف العجلة يبني لنفسه مدينة يحكمها هو بنفسه كملك . وهكذا صار . وعندما استقر به المقام في مدينته اخذ يعلم الاغريق الكتابة واستعمال الآلات الموسيقية في اعياد الآلهة ، وصناعة النحاس .

(٣) يعلم كل من يلم باللغات السامية ان هذه الشعوب درجت في كتابتها على نظام رسم الحروف الصامتة دون المصوتة فجذر حروفه ق ت ل يمكن ان يؤوّل بعشرات الامكانيات مثل قُتِل وقَتْل وقاتِل... الخ. اما نشوء نظام للحركات فيرجع نسبياً الى عهود متأخرة جداً .

وهـا نحن نـذكر باقتضاب كلي" اهم النظريات التي قدّمت مـع ذكر بعض المصادر (١) التي يستطيع طالب المزيد الرجوع اليها .

النظرية المصرية :

ويقول اصحابها ان الفينيقيين كانوا على صلة وثيقة مع مصر تجارياً وثقافياً. ولا شك انهم عرفوا الكثير عن مبادىء خطهم ، فوضعوا حروفهم عـلى المبدأ نفسه. واختلفوا في هل اقتبسوه عن الخط الهيراطيقي (ومعناها الكتابة المقدسة) او من الخط الديموطيقي (ومعناها خط العامة). واختلفوا كذلك في هل ان الفينيقيين اخذوه جملة او اخذوا بعض حروفه واستنبطوا اخرى ، ذلـك لانهم وجدوا صعوبة كلية في ربط بعض الحروف الفينيقية بحروف مصرية . والنظرية المصرية قديمة العهد اخذ بها كثيرون من المؤرخين الكلاسيكيين (الاغريق والرومـــان) مثل افلاطون وديودورس وبلوتارخ وتسيتوس ، ومن المحدثين لنورمان(٢)ودي روجه(٣)وهلفي(٤)

---

(١) ما كتب في موضوع الهجاء ، اصله ونشأته وتطوره ، يكوّن مكتبة عامرة جداً نكتفي بذكر بعض الكتب التي تبحث الكتابة عامة :

DRIVER, G. R. : *Semitic Writing, London, 1948*

DIRINGER, DAVID : *The Alphabet, New York 1948*

JENSEN, HANS : *Geschichte der Schrift, Hannover, 1925*

LIDZBARSKI, M. : *Das Alphabet, in Nordsemitischen Epigraphik. P. 173 — 194*

(٢) LENORMANT : *Essai sur la Propagation de l'Alphabet Phenicien, I. p. 85 ff.*

(٣) E. DE ROUGÉ : *Mémoire sur l'Origine Egyptienne de l'Alphabet Phenicien, 1874*

(٤) J. HALÉVY : *Mélanges d'Epigraphie et d'Archeologie Sémitique, vol. IX (1901) p. 356*

النظرية السينائية :

ومؤدّاها ان النقوش التي عثر عليها فلندز بتري (Petrie) سنة ١٩٠٥ في شبه جزيرة سيناء ، حيث كان للفراعنه القدماء مناجم فيروز ، تشكّل حلقة وصل بين الكتابة المصرية القديمة وبين الخط الفينيقي القديم . وهذه النظرية في الواقع تتمة للنظرية المصرية ، غير ان حلقة الصلة كانت مفقودة عند اصحاب النظرية المصرية . ويرى جلّ الذين درسوها انها الارومة التي منها اشتقّ الفينيقي القديم والسبأي القديم.(١)

النظرية البابلية :

ويقول اصحابها(٢)ان الخطّ الفينيقى مشتق من الخط المسماري او الاسفيني كما يسميه الغربيون (Cuniform من Cunus اسفين) وذلك لقرب الصلات الثقافية والتجارية بين اشور وبابل وشواطىء البحر الابيض ، ولتقارب اشكال

---

(١) FLINDERS PETRIE : *Researches in Sinai, London 1906 ; The Formation of the Alphabet, 1912 .*

ALAN H. GARDINER : *Inscriptions of Sinai, London, 1917 ; The Egyptian origin of the Semitic Alphabet, Journal of the Egyptian Archeology, 1916, III, 1-6.*

MARTIN SPRENGLING : *The Alphabet ; its rise and development from the Sinai inscriptions, University of Chicago, 1931 .*

KURT SETHE : *Die neuentdeckte Sinai - Shrift. . ., Nachrichten von der Kgl. Ges. d. Wissenschaft z. Gottingen, Phil. - hist. Klasse, 1917, 437 ff.*

(٢) W. DEECKE : *Der Ursprung des Altsemitischen Alphabets aus der neuassyrischen Keilschrift, ZDMG vol. 31, 102 - 116 .*

Fr. DELITZSCH : *Eie Entstehung des Aeltesten Schriftsystems 1897 .*

Fr. HOMMEL : *Ethnologie und Geographie des Alten Orients, 1925 P. 96 ff.*

بعض الحروف . ولكنّ اكتشاف الفرنسيين سنة ١٩٢٩ مدينـــة اوغاريت الفينيقية (شمالي اللاذقية في مكان اسمه الحاليّ رأس شمرا) التي كانت مرفأ هاماً ورد اسمها كثيراً في النقوش المصرية القديمة ، جعل الناس ان يتخلوا عن هـــذه النظرية . فقد عُثر في اوغاريت على كتابات عدة وقصائد دوِّنت بالخط المسماري ولكن على اساسٍ هجائي . وقد حُلّت رموزها وترجمت(١)

النظرية الكريتية او الايجية :

ورأي اصحابها ان الفينيقيين اخذوا خطهم عن سكان الشمال، بطريق كريت او قبرص ، او من جزر الايجي مباشرة ، وذلك لكثرة تسفارهم الى تلك الجزر للمتاجرة . وقسم يرى ان الفلسطينيين الذين دخلوا فلسطين في القرن الثالث عشر ق.م، واحتلوا الشاطىء الممتدّ من غزّة جنوباً الى جنوبي حيفا شمالاً (وبهم سميت فلسطين) هم الذين جلبوا هجاء شمالياً اخذه عنهم الساميون (الكنعانيون اخوان الفينيقيين الى الجنوب). ولكن هذا الزعم لا يثبت الآن بعد اكتشاف رأس شمرا وناووس احيرام في جبيل ، اذ منها ومن غيرهما يظهر ان الفينيقيين كانوا يكتبون بهجاء قبل ان تطأ اقدام القبائل الايجيّة سواحل فلسطين(٢) .

---

(١) R. P. P. DHORME : *Un nouvel alphabet semitique, Revue Bib. 4, 1930 ; Revue Bib I, 1931 .*

HANS BAUER : *Entzifferung der Keilschrifttafeln von Ras Shamra, Halle 1930.*

F. A. SCHAEFFER AND CHARLES VIROLLEAUD : *in Syria 1929 — 1930 .*

(٢) Fr . PRAETORIUS : *Ueber den Ursprung des Kanaanaischen Alphabets, Berlin, 1906 .*

LEHMANN-HAUPT : *Zur Herkunft des Alphabets, ZDMG, 1919 p. 67 ff.*

A. J. EVANS : *Scripta Minora I, Oxford 1909, p. 77 ff.*

HERMAN SCHNEIDER : *Der Kretische Ursprung des Phoenikischen Alphabets, 1913.*

النظرية الكنعانية :

وقد دافع عنها العالم المستشرق مارك ليدسبارسكي في كتابه المعروف :
Ephemeris fur semitische Epigraphik, I 128 ff .

النظرية الجبيلية :

والقائل بها موريس دينان (Dunand) الذي كان يقوم بحفريات في بيبلوس القديمة (جبيل) فعثر على نقوش تشبه الهيروغلوفية ولكنها هجائية لا صورية . ويعتقد دينان ان هذا الحرف هو ام الهجاء الفينيقي ، وحسب نظريته يجب ايضاً ان نرجع زمن الهجاء الفينيقي الى الوراء عدة قرون اخرى .

النظرية الفينيقية :

ويصر اصحابها على ان الهجاء نشأ في فينيقيا ولم يكن مستعاراً ولا مقتبساً . وكان يأخذ بهذا الرأي بعض المؤرخين الكلاسيكيين مثل لوقان وبليني و كلمنس الاسكندراني .

وقبل ان نترك الموضوع يحسن بنا ان نشير الى نظرية لم تلق قبولاً عند الباحثين ، مؤدّاها ان الهجاء اشتق من خطوط واشارات هندسية كانت شائعة الاستعمال في جميع انحاء حوض المتوسط .

يرى القارىء من هـــذا العرض الموجز ان قضية اصل الحروف الهجائية الفينيقية اكاديمية تاريخية تحتمل كثيراً من الوجوه . اما المحقّق ، وقد ألمعنا اليه سابقاً ، فهو ان الفينيقيين وضعوا لهم حروفاً في القرن الخامس عشر او السادس عشر. ومن هذا الخط الفينيقي الام تفرّع الحرف السبأي الجنوبي ، وبذا انقسم الهجاء الفينيقي القديم ، على ممر الزمن الى فرعين (١) شمالي ، ويشمل الفينيقي المتأخر ، والآرامي كما يتمثل في النقوش التدمرية والنبطية وفي نقش زنجرلي ، والعبري . (٢) جنوبي ، ويشمل الكتابة السبائية والمعينية والقطبانية (الخط المسند) والحبشية والصفوية والثمودية واللحيانية .

اصل الخط العربي :

وقد ذكرنا لك هذا توطئة لوضع الخط العربي في حيّزه من الخطوط السامية. وهذا الخط احدثها عهداً ولكنه شاع وانتشر اكثر من اي خط سامي آخر ، ويأتي بعد الحرف اللاتيني في اتساع الرقعة الجغرافية .

اين نشأ هذا الخط ، وهل هو من وضع العرب ام انه مقتبس ؟ سنذكر لك الرواية العربية ، ثم نردفها بما توصل اليه البحث التاريخي الحديث .

الرواية العربية :

لن نقف بك طويلاً عند نظرية التوقيف التي تقول ان الله علّم الانسان اللغة والكتابة ، لانها لا تستند الى العلم ولا يثبتها الواقع ، وكذلك لن نزعجك بذكر جميع الروايات المختلفة التي ينسبونها الى ابن عباس وغيره من الرواة والمحدثين ولا الى رواية ابن اسحق والواقدي والبلاذري وابن النديم والمسعودي والصولي وغيرهم(١) ، على ما فيها من متعة ، ولكن نمرّ بك سراعاً ذاكرين نظرية يُصرّ التقليد العربي على توكيدها ، وهي ان الخط العربي الشمالي مشتق من الخط العربي الجنوبي ، اي المسند خط اهل سبأ وحمير ، ولكن ليس مباشرة

(١) يقولون ان واضعي الخط هم ابجد او ابوجاد او اباجد وهوز او هواز او هاوز وحاطي وكلمان او كلمون.... الخ وانهم كانوا ملوك مدين (= مديان) هلكوا يوم الظلة (سورة الشعراء الآية ١٨٩) مع قوم شعبان. وكان رئيسهم كلمون وقد رثته ابنته بشعر ...! وفي يوم الظلة يقول النضر بن المنذر : ملوك بني حطي وسعفص في الندى وهوز ارباب الثنية والحجر

ويقول اعرابي (عن القلقشندي) :

اتيت مهاجرين فعلموني ثلاثة اسطر متتابعات
وخطوا لي ابا جاد وقالوا تعلم سعفصاً وقريشات

جميع هذه الاخبار تجدها مكررة في الصولي ادب الكتاب القاهرة ١٣٤١ هـ. ص ٢٨ – ٣١ وفي ابن النديم ، الفهرست ، طبعة فليجل ، ص ٤ – ٦ ، وفي البلاذري ، فتوح البلدان (الطبعة الاوربية) ص ٤٧١ – ٤٧٤ وفي غيرهم .

بل عن طريق الحيرة والانبار في العراق . يقول ابن خلدون ان هـــذا الخط الجنوبي رحل اولاً الى آل المنذر في الحيرة لِما بين هؤلاء والجنوبيين من صـلة القرابة ، ومن الحيرة ارتد غرباً جنوباً الى الحجاز . ومنهم من يجعل الانتقال اولاً الى الانبار ومن ثم الى الحيرة . ثم تتبسّط الرواية في ذكر الاشخاص العرب الذين نقلوه من العراق الى اهل الطـائف وقريش . ونحن لا نستطيع الركون الى هذه النظرية التي لا تستند الى التاريخ ، انها اقرب الى الخرافة (اعتبر مثلاً اسماء الذين نقلوا الخط الى الحجاز) . وان كان هنالك من شبه بين الخط السبأي وبين خط الحيرة فانما مرده الى ان الخطين في الاصل مشتقان من اصل واحد . ولا ننسى ان الحرف السبأي يُكتب منفصلاً بينما الحرف العربي يُكتَبُ متصلاً .

وقد تقول ، في نفسك ، ولماذا اذاً ازعجت نفسك بذكر الرواية العربية التي لا تركن اليهـا ؟ نحن نذكرها لاصرارها على ان الكتابة « بضاعة » استوردها العرب من الخارج ، وهي ليست من صنعهم بل اقتبسوها عن جيرانهم وتعهّدوها بالاصلاح والتحسين الى ان وصلت الى الشكل الذي نكتب ونطبع فيه اليوم . وهذا في نظرنا هامٌ جدّاً ، اذا ادركه كل عربي فلا يعود يعارض في ادخال ايّ تحسين او تغيير في الخط ، لان هذا الخط قد مرّ في اطوار عديدة يصعب معها تبيُّن الشكل الاوّل .

ماذا يقول البحث التاريخي العلمي ؟

أخذ العرب خطهم عن الانباط، وقد عزز هذا الرأي العثور على بضعة نقوش عربية يرجع تاريخها الى ما قبل الاسلام كتبت بالخط النبطي المتأخر ، اهمها نقش النمارة ، وهي قصر للروم في الحرّة الشرقيـــة من جبل الدروز . وقد وجد هـذا النقش على قبر امرىء القيس احد ملوك الحيرة ، ويرجع تاريخه الى

نقش النمارة

نقش زبد

نقش حران

سنة ٣٢٨ ب. م . ونقش زبد ، وهي خربة بين قنّسرين (قنشرين الآرامية : قن النسور) والفرات، ويرجع تاريخه الى سنة ٥١٢ او ٥١١ ب.م، وهو مكتوب بثلاث لغات : الاغريقية والسريانية والعربية . ونقش حرّان في اللجا في المنطقة الشمالية من جبل الدروز ، وهو مكتوب فوق باب كنيسة بالاغريقية والعربية(١) ونقش ام الجمال المكتوب بالاغريقية والآرامية ، ويرجع تاريخه الى سنة ٢٥٠ ميلادية .

الانباط شعب عربي كما يستدل من لغتهم ومن اسماء الاعلام الواردة في نقوشهم . ولكنهم عربٌ وقعوا تحت تأثير الثقافة والحضارة الآرامية ، فجاء خطهم أرامياً ولغتهم مزيجاً من العربية والآرامية كما يظهر من نقش النمارة . وكانت عاصمتهم البطراء (سلع ، ومعناها الصخر . والبطراء اسمها الروماني وهو ترجمة الاسم السامي) مركزاً تجارياً هاماً . وكانت مضاربهم تمتد من سينا الى شمالي الجزيرة العربية الى حوران ومشارف الشام. وعندما اخذت دولة السلوقيين بالتأخر اخذ هذا الشعب العربي بتوسيع رقعته الجغرافية حتى ان في سنة ٨٥ ق.م. اصبح ملكهم حارثة (Aretas) سَيّد دمشق وسوريا المجوّفة (البقاع) وفي سنة ١٠٥ او ١٠٦ ب. م . خرب تراجان ملكهم . وكان للانباط ، كما يظهر من النقوش ، خطان خط قديم وخط متأخر . وكان خطهم القديم اشبه بالخط الكوفي تكثر فيه الخطوط المستقيمة والزوايا . وهو الخط الذي كان ينحت على الصخر او يكتب به على النقود . ولكن الانباط كانوا تجاراً قبل اي شيء آخر ، والتاجر لا يحفل بالكتابة كفن بل همُّه الكفاءة والسرعة . ولذا نشأ عندهم خط شعبي مدوّر لا مزوّى(٢). والخط العربي اشتق من الخط المتأخر اي

---

(١) راجع رسم هذه النقوش الثلاثة ص. ١٣ .

(٢) مدور ترجمة كلمة Cursive اي الكتابة التي تكون فيها اشكال الحروف منحنية مقوسة. ومزوى ترجمة كلمة Angular اي فيه زوايا.

الخط المدوّر . ويظهر ان فترة اقتباس هذا الخط التجاري كانت بين منتصف الثالث ميلادي ونهاية القرن السادس . ورحلة هذا الخط النبطي الى الحجاز كانت من حوران الى الحيرة والانبار في العراق في اواسط الفرات ومن ثمّ الى الحجاز ، او من البطراء الى العُلا — محطة تجارية في شمالي الحجاز اسسها عرب الجنوب كما يظهر من النقوش التي عثر عليها هناك اويتنغ (١) — فمدن الحجاز التجارية.

وقبل ان نترك هذا الموضوع يجب التنبيه الى خطأ وقع فيه مؤرخو العرب وهو الزعم القائل ان الخط النسخي مشتق من الكوفي . والنسخي هو الخط الذي يميل الى الاستدارة والتقويس اي هو الخط المدوّر . والكوفي يميل الى التربيع فهو المزوّى . ولكن اكتشاف كتابات على البردي وكتابات اخرى ترجع الى الفترة الاسلامية الاولى ترينا بوضوح لا يقبل الشك ان العرب منذ البدء عرفوا خطين : المدوّر النسخي والمُزوّى الكوفي والخطان نشأا معاً ولم يشتق الواحد من الآخر . والظاهر ان العرب عرفوا الخط النبطي القديم المزوّى وعرفوا الخط الآرامي المربع الذي كانت تُكتب به الاناجيل . وكان يُعرف بالسطرنجيلي (اي خط الاناجيل) لان الخطّ المزوى فيه جلال وفيه زخرف يليق بان يحفر على المباني وان تكتب به الكتب المقدسة . واما الخط النسخي فهو الخط التجاري الذي تستعمله العامة . والظاهر ان العرب قلدوا الآراميين بكتابتهم القرآن بالخط الكوفي الذي لا نشك في ان الكوفة تعهدته وجوّدت فيه فنُسب اليها .

ضبط الخط العربي بالنقط والحركات والضوابط :

ونعني بالنقط النظام الذي اتبع في تفرقة الحروف المتشابهة ب ت ث، ج ح خ،

(١) Julius Euting : Tagebuch Einer Reise in Inner - Arabien, I Leiden 1896, II 1914 .

	نبطي متأخر	نقش النمارة	نقش زبد وحران	عربي قديم
ا				
ب				
ج				
د				
ه				
و				
ز				
ح				
ط				
ى				
ك				
ل				
م				
ن				
سامخ				
ع				
ف				
ص				
ق				
ر				
ش				
ت				
لا				

مقابلة الخط النبطي المتأخر بالخطوط العربية القديمة (ولفنسون)

	سبأي	لحياني	ثمودي	صفوي
א				
ב				
ג				
ד				
ד̄				
ה				
ו				
ז				
ח				
ח̄				
ט				
ט̄				
י				
כ				
ל				
מ				
נ				
ס				
ע				
ע̄				
פ				
צ				
צ̄				
ק				
ר				
ש				
ת				
ת̄				

الخطوط الصفوية والثمودية واللحيانية (عن لدسبارسكي Ephemeris)

ع غ... الخ والعرب سَمّوا هذا الاصلاح الهام اعجاماً ، واعجمه اي اذهب عجمته (الهمزة سالبة) . والحركات هي الفتحة والضمة والكسرة والمدّة ، والضوابط(١) السكون والشدّة والوصلة . وكم كنت اتمنّى لو ان العرب الاحياء يحددون معنى اللفظة ويتبعونها ، فاننا نرى في الكتب التي تبحث هذا الموضوع : اعجام ، شكلات ، حركات ، او حروف مصوّتة ، تنقيط ، وليس في هذا ضرر لو انها محددة المعنى غير متداخلة . اما نحن فنفضل هذه التسمية البسيطة – والعلم يفرض التبسيط – لانها تتفق تماماً والواقع .

جميع الخطوط السامية المتفرّعة من الفينيقية كانت خلواً من النقط والحركات او من اية اشارة اخرى تفرق حرفاً عن حرف او تشير الى نوعيـــة الحركة او طول المقطـع او قصره ، بل كان الكاتب السامي يكتفي برسم الحروف الصامتة(٢) التي تشبه هياكل عظمية لا حياة فيها . حياة الكلمة المكتوبة في الحركة . الحرف الصامت في نظر الفونيتيكي(٣) لا يمكن لفظـه بل يدل على مركز اعضاء النطق فقط . وهذا النقص المعيب في الكتابة الساميـة افسد على العرب تفكيرهم من جهة كتابة الكلمة ، اذ اصبح للحروف اهمية خاصة واعتبرت الحركات امراً طارئاً . ولذا كانت قراءة النقوش الساميـة مدعاة لكثير من الاختلاف والتأويل . فاننا لو افترضنا ان كلمة مركبة من « ك ت ب » وردت في نقش سامي ، عربي او فينيقي او عبري او خلافهـا ، فان امكانيات قراءتها عديدة وعديدة جداً فهي : كَتَبَ وكُتِبَ وكُتُب وكِتْب وكُتُب وكِتَاب وكاتِب وكَتيب وكَتّب او كَتُوب.... الخ .

(١) او ضوابط الكلمة تفرقة لها من ضوابط الجملة Punctuation التي سيأتي الكلام عنها .

(٢) غير اننا في نقوش قليلة العدد نلاحظ ، وذلك في عصور قريبة منا نسبياً ، انهم كانوا احياناً يستخدمون حروف العلة الالف والواو والياء .

(٣) الذي يعنى بدراسة اصوات اللغة وتقلباتها .

لا نعلم تماماً سبب استنكاف السامي من وضع رموز او حروف خاصة بضبط القراءة . اما الرواية العربية المتأخرة فتصر على ان شكل الكتابة تحط من قيمة المكتوب اليه ، اذ قد يعتـــبر الامر اهانة له ، وهذا لعمري غاية في التكلّف واسراف في الفتيا ! واظنها تمثل « وجهـة نظر المعارضة » لان استنباط النقط والحركات والضوابط لاقى معارضة شديدة ، وها مالك ابن انس (+ ١٧٩) يمنع تنقيط القرآن . اما نحن فلنا في الامر تعليل بسيط جداً وهو ان الكتابة كانت في القديم من الصنائع المقدسة ، وكانت وقفاً على كهنة المعابد او كُتّاب الملوك . ولو كانت الكتابة ضرورة شعبية ، في ذلك الزمن ، لوضعوا نظاماً لضبط القراءة ، ولكن الكتابة والقراءة كانت لطبقـة الخاصة . ولكن عندما اصبحتا ضرورة ، او ملكاً مشاعاً نشأت الحاجة الى وضع النقط والحركات والضوابط كما فعل العبران والسريان(١) والعرب من بعدهم .

يعزو التقليد العربي ضبط الكتابة الى أُناس لا يُشك في تاريخيتهم مثل ابي الاسود الدؤلي الذي وضع نظاماً من التنقيط لا يختلف عن النظام النسطوري السرياني ، والخليـــل ابن احمد الفراهيدي الذي ابدل النقط برموز اخرى هي حروف او ابعاض حروف . فالفتحة الف صغيرة ، والكسرة مقطوعة عن الياء ، والضمة واو مصغرة ، والسكون قد يكون انه راس « خ » دلالة على الخلو (او خالٍ من الحركة) والمدّة من مُدّ (وفي كتابة اليد اصبحت ~) والشدّة من شُدّ (اي الحرف الاول ش) والوصلة من صِل (اي الحرف الاول ص)

(١) نشأ عند السريان نظامان ، الواحد يعتمد النقط فوق الحرف وتحته والى يساره ، وهو النظام الذي اعتمده ابو الاسود الدؤلي ، اذا صحت الرواية ، والآخر يعتمد الحروف المصوتة في هجاء الاغريق . وقد ادخلها ثيوفيل الرهاوي عندما ترجم الالياذة السريانيـــة ليضبط بها اسماء الاعلام والامكنة .

ونشأ عند العبران عدة انظمة لضبط القراءة والشائع منها اليوم الطريقـة الطبرية ، نسبة الى مدينة طبريا حيث كان لليهود مدرسة دينية مشهورة عنيت بضبط اسفار العهد القديم .

ولكن الواقع اننا لا نستطيع الركون الى هذه الرواية . قد يكون لهذين الرجلين يد في تحسين ما ، ولكن ، وكما يزعم مورتيس في الموسوعة الاسلامية في بحثه الكتابة العربية ، قد يكون ان بَدْء ضبط الكتابة يعود الى ما قبل الاسلام قليلاً ، وعندما ظهر الاسلام ونشأت عند العرب حاجة الى تعلم القراءة والكتابة شعروا بضرورة التبسيط . قراءة العربية الخالية من الحركات عملية شاقة فكيف بها اذا كانت خالية من التنقيط ايضاً . وإخال المدرسين في القرن الاسلامي الاول كانوا يتأففون من صعوبة تعليم العربية كما يفعل مدرسو اليوم . فلا عجب ان يكون الاصلاح قد تناول الخط العربي في فترة سابقة للخليل .

مشاكل الخط العربي :

ونجملها في اربع (ا) شكل الحروف، تشابهها وتغيّر اشكالها (ب) خلوها من الحركات والضوابط (ج) قواعد كتابية (د)صعوبة الطباعة ونفقاتها .

(ا) شكل الحروف ، تشابهها وتغيّر اشكالها :

من جملة الشروط التي يجب ان تتوفر في حروف الهجاء المثالية ٣ اساسية :

(١) ان يكون لكل صوت من اصوات اللغة رمز واحد اي حرف واحد . وهذا ما لا نراه في اية حروف هجائية حتى في الانظمة الهجائية التي يضعها العلماء والجمعيات العلمية ، فانك تجد مثلاً kh لتمثل خ . وفي الانكليزية sh تمثل ش و th تمثل الثاء ، وعندهم CKQ للفظ واحد . وجميع هذه عيوب .

(٢) ان تكون اشكال الحروف متباينة متغايرة كي لا يقع القارىء في التباس.

(٣) ان لا تتغير اشكال الحروف بالنسبة الى موقعها من الكلمة . اذا توفرت هذه الشروط الاساسية مضافاً اليها جمال الشكل وتناسبه يكون لدينا هجاء مثاليّ.

اذا قسنا الحروف العربية بهذه المقاييس نجـــد ان الشرط الاول يتوفر في

الحروف العربية ، فهي من هذه الناحية تفوق الحروف الانكليزية مثلاً ، لان لكل حرف عربي صوت واحد ، ومجموعها يفي باصوات اللغة . اما اذا قسناها بالشرطين الثاني والثالث نجد ان كثيراً من الحروف العربية قريبة الاشكال مما يوقع القارىء في كثير من الوهم ، واشكالها تتغير بالنسبة الى موقعها من الكلمة . اذكر انني كنت مرة اقرأ مع طالب اجنبي يدرس عليّ العربية فورد في جملة هذه اللفظة « بتثبتنا من ... » فتوقف الطالب وقال : اين الحروف في هذه الكلمة فاني لا ارى الا نتوءات عليها نقط ؟ قلت له اقرأ النقط لاننا نقرأ النقط ! فضحك. ولكنه الواقع اذ ان ب‌ت‌ث‌ي‌ن في بدء الكلمة ووسطها تختفي ويقوم مقامها سنّ عليه نقطة او اكثر . وقد عجبت وانا اقرأ كتاب عبدالعزيز فهمي باشا « الحروف اللاتينية للكتابة العربية » القاهرة ١٩٤٤ ، من اصرار الذين ردوا عليه بان هذه ظاهرة حسنة في الخط العربي لانه خطّ اختزالي ، والعالم يسير نحو الاختزال (كما يقول كامل الجادرجي) . ولكنه تشبيه فيه اسراف . ليس الاختزال مدعاة للمباهاة . انا افهم الاختزال انه ضرورة تجارية طارئة ، فيها كثير من التعسّف والاعتباط ، والغاية منها توفير الوقت بين رئيس ومرؤوس ، وبين مدير وكاتمة سره ليس الا . اما الكتابة فلجميع الناس وشرطها الاساسي الوضوح والسهولة ، لا ان تكون رموزاً واحاجي .

وتناسب الحروف في احجامها يزيد في جمال الخط . اما في الحرف العربي فالتناسب الهندسي معدوم ، بعضها صغير ، وبعضها الآخر كبير . منها ما يعلو عن الخط المستقيم ، ومنها ما ينحدر عنه . وادهى من هذا ان العلو والانحدار لا يتمشيان حسب قانون . فالحاء واضرابها تنحدر اكثر مما تنحدر الراء ، والكاف تعلو عن الخط اكثر مما تعلو سائر الحروف. وقسم منها اذا صغرناها فان بعضها يتلاشى . ويمثل نصري خطار على هذا بكلمة « كلمح البصر » يقول اذا اردنا ان نصغر الحرف نسبياً فاننا نصل الى درجة تختفي معها اللام والباء او يصبح الواحد

منهما نقطة ميكروسكوبية !

وقد تعجب لهذا الرأي لانك اعتدت سماع عكس هذا، من ان الخط العربي جميل يعبر نفسه للزخرف . والعرب جعلو من الكتابة اليدوية فناً رائعاً . اما نحن فنعتقد ان هذا الفن الذي ابدعوه في الكتابة لم يكن سوى محاولة لاخفاء النقص والعيب البارز في الخط العربي . ونحن لا ننكر انه فنّ ولكنه فنّ لتغطية ما ليس فيه فن . ونزيد بان هذا الفن اصبح فيه من التكلف ما جعل من الكتابة صوراً للحدس والتخمين ، والكتابة ليست للفن ، وليست للتخمين والحدس . الكتابة لنقل الفكر .

(ب) خلوها من الحركات والضوابط :

والحركات ، او الحروف المصوّتة ، هي الفتحه والكسرة والضمّة والمدّة ، والضوابط هي الشدّة والوصلة والسكون . وقد قلنا سابقاً ان الكتابة السامية القديمة كانت تلجأ الى رسم الحروف الصامتة للكلمة ، وتترك الباقي للقارىء . ولم تشذّ الكتابة العربية عن هذه القاعدة . فقد كانت في يوم من الايام تكتب خالية من التنقيط ومن الحركات ومن الضوابط ؛ ولكن عندما نشأت المدرسة، وعندما شاع العلم، شعروا بضرورة تسهيل القراءة فأضافوها(١) .

الحقيقة هي ان الكلمة العربية هيكل عظمي لا حياة فيه ، وقد ألف العرب رؤية كتابتهم خالية من الحركات حتى فاتهم ان الحركة (Vowel) جزء حيوي من الكلمة. الجذر « ق ت ل » افتراض لا وجود له الاّ في رأس الفيلولوجي،

---

(١) ظهر اولا التنقيط للتفرقة بين حرفين يتشابه شكلاهما كالباء والتاء . وكانت الهمزة تكتب بنقطتين او بنقطة كبيرة بمداد يختلف عن المداد الذي يكتب به الكاتب . ثم ظهرت الحركات والضوابط . وعندما لم يكن النص محركاً كان الكاتب يقول: بالتاء المثناة، او اخت الصاد او الطاء، او بكسر الاول وفتح الثاني وتسكين الثالث... الخ او كان يقول هي وزان كذا ، على ما تجد في كتب السير والرحلات والجغرافيا .

ولكنة يصبح كلمة ذات معنى اذا قلت قَتَلَ قُتِلَ ، قاتِل ... الخ فكأن الكلمات السامية ، ومن جملتها العربية، صورٌ ورموزٌ تذكِّر القارىء بكلماتٍ قائمة في الذهن . وهذا معنى قولنا (واظنه لاحمد قاسم امين) ان الناس يقرأون ليفهموا ، اما نحن فيجب علينا اولاً ان نفهم لنقرأ !

قد يكون لهذا النوع من الكتابة مبرّر عندما كانت الكتابة ، كما المعنا سابقاً ، لنفرٍ من الناس ، ولكن اليوم ، والعلم مشاع ، والحكومات تسعى حثيثاً للقضاء على الامية ، لا نرى له مسوّغاً . قد تقول : ولكن لدينا حركات وضوابط. غير ان هذه لم تحلّ المشكلة لان كتابة اليد ، وجل ما تخرجه المطابع (باستثناء كتب المدرسة) يظهر خالياً من الحركات والضوابط . فتظلّ القراءة الصحيحة التامة وقفاً على من قضى العمر متبحراً في اسرار العربية . اما الكثرة الكثيرة منا فتقف امام « يفعل » حائرة تُعمل الفكر في التثبت منها ، اهي يَفْعِلُ‌ُ‌ْ ام يُفعَلُ‌ُ‌ْ ، ام يُفعِّلُ‌ُ‌ْ (١٦ امكانية !) . وهـذه الكلمة الصغيرة « قد » قد تكون قَدْ او قَدٌّ او قُدٌّ او قُدْ او قدٌّ(١) ! وعوضاً عن ان يركّز القارىء انتباهه في معالجة المعنى واستيعاب الفكرة تجده حائر البصر ينظر الى فوق الكلمة والى تحتها والى ما بعدها فكأن عليه ان يتحسّس المعنى تحسّساً . واخيراً يتوصل القارىء البارع الى القراءة الصحيحة ولكن متى؟ واما اطفالنا ، اطفالنا الذين لا يستطيعون ان يستدلوا بالقرينة ، ولا ان ينظروا بعيداً الى الكلمات التالية ، فانّى لهم ان يقرأوا قراءة صحيحة(٢) ؟ لن نطيل الكلام في موضوع صعوبة القراءة العربية والزمن الذي يحتاج اليه الولد العربي لاتقانها لانه امر مفروغ منه يسلم به كل من مارس مهنة التعليم، وكل أب حاول

(١) قد تقول ولكن القرينة ، او ما بعد اللفظة يعيننا على القراءة . وهذا صحيح ، ولكن في الامر مشقة على الصغير والكبير . وهذا معنى قولنا اننا يجب اولاً ان نفهم لنقرأ !

(٢) يتندر فريق من اساتذة الجامعة الاميركية بقصة ولد قرأ لفظة «فستكون» فِسْتكونِ !!

ان يساعد ولده : وما دام العرب جادّين مخلصين في القضاء على الامية عليهم ان يعيدوا النظر في اصلاح خطّهم .

(ج) قواعد كتابية

ومما يعقد الخط العربي، وبالتالي يزيد في صعوبه القراءة، بعض القواعد الكتابية التعسفية . وهذه ظاهرة لا نشكو منها نحن وحدنا ، فهؤلاء الانكليز يصرون على تهجئة Through بهذا الشكل التاريخي رغم الحاح الاميركان بكتابتها Thru و Laugh بدلاً من Laf . ولكن هذا لا يقاس بما يعانيه اطفالنا في الاملا العربي. ومن هذه القواعد المعقدة الهمزة على نوعيها القطع والوصل(١) وطريقة كتابتهما. وهناك أل التعريف الداخلة على الحروف الشمسية وما تسببه من الارتباك في القراءة ، فقد قال لي ولدي ، رضا ، ان كلمة « فبالرُّغم » فيها ما يجب حذفه ! وهذا ما قاله لي آخر ونحن نقرأ « عَلىَ الِانْتِفَاخ » . وعندنا نوعان من الألف الطويلة والمقصورة ، وحروف تلفظ ولكنها لا تظهر كتابة كما في داود وهذا وابرهيم ، وحروف تكتب ولا تلفظ كالالف بعد واو الجماعة والالف في الاسم المنصوب المنون والياء في «في» في مثل قولنا « فِي البَيْت ». واذا لم يكن النص محركاً فلا سبيل لمعرفة الحرف المضاعف . جميع هذه وغيرها يمكن تبسيطها ، ولنا في كتابة القرآن الكريم ما يشجعنا على هذا ، فان الفاظاً عديدة تكتب في القرآن الكريم(٢) بشكل، بينما يكتبها الناس اليوم بشكل آخر ، ولا نظن ان احداً يقول بان هذا التبسيط مسّ جوهر القرآن الكريم بشيء .

---

(١) راجع رأيا لنا في الهمزة وكتابتها في مجلة الابحاث العدد الرابع، السنة الرابعة ص. ٣٩٢

(٢) في القرآن كلمات عديدة جداً تكتب على غير الهيأة التي نكتبها نحن مثل : رحمن ، مسجد (مساجد)، كتب (كتاب) ، ارسلنك ، صائمت، كفرين (كافرين) ، ابراهيم ، ارهبون ، يعباد (يا عبادي) ، وغيرها . ولكن هذه وامثالها من شذوذ لا تؤثر بالجوهر انما هي عرض .

(د) صعوبة الطباعة ونفقاتها :

عامة الناس الذين يقرأون جريدة الصبح او المجلة او اي كتـــاب آخر لا يدركون مبلغ صعوبة الطباعة ونفقاتها الباهظة ، انما يعرف هذه الحقيقة المرّة صاحب المطبعة وصفّاف الحروف والمؤلف الذي عليه ان يدفع اجراً لهما . واني اذكر جيداً عندما القى السيد نصري خطار ، صاحب اقتراح «الابجدية الموحدة» محاضرة عن حسنات حروفه في النادي الثقافي العربي في بيروت ، في جمع ضمّ المتأدبين واكثرية الطباعين ، كيف ان الطباعين رحبوا باقتراح يخفض عـــدد الحروف من قرابة ٦٠٠ الى ٣٠ ، وفي الآلة الكاتبة من ٨٠ الى العدد ذاته . ولـكي يدرك القارىء مبلغ صعوبة الطباعة ونفقاتهـــا ندرج فيما يلي نموذجاً من حروف « كلمن » كما تظهر في المطبعة العادية :

الكاف : ك ك ك ك ك ك ك كم كما كم كم كا كا كا كا كل كر كة كلا كو كي كي .

اللام : ل ل ا ا لم لم لهـ لو لو لي لي لى لى لله لا لا .

الميم : م مـ مـ م ما ما م مج مح مخ مجم محم مخ .

النون : ن ن ن ن ن ن نم نم نما نج نح نخ ن نم نو ني ني

وليست هذه جميع المركبات الممكنة فقد تجد ان بعض المطـــابع تتبنى مركبات اخرى لا تجدها هنا في هذه القائمة ! واذا اردنا ان نشكل هذه الحروف، او المركبات من الحروف ، فتحاً وكسراً وضماً وتسكيناً نلجأ الى واحدة من طريقتين : إما ان نضيف هذه الحركات على «امهات» (في مصطلح الطباعين إمّاية = أمّ ، وهي الحديدة التي في رأسها قالب الحرف) منفصلة نضعها فوق الحرف او تحته. وهذه الطريقة ، مع انها اسهل واقلّ نفقات ، تخلق كثيراً من المشاكل القرائية ، ذلك لان هذه الحركات قد لا تقع في المكان الذي تريده من

الحرف ، كأن تأتي الفتحة قبل الحرف قليلاً او بعده قليلاً ، وذلك لصعوبة طبيعية لا مفرّ منها . والطريقة الثانية ان نسكب الحركة مع الحرف في « ام » واحدة فتظهر الحركة في المكان الذي تريده من الحرف . ولكن اذا فعلنا هذا علينا ان نضرب عدد حروف الوسط فقط بخمسة (ذلك لان الحرف الاول والحرف المتطرّف يمكن اضافة حركة منفصلة) فيرتفع عدد النماذج التي مثّلنا لك بها الى ما يقرب من خمسة اضعاف .

واذا سألت طباعاً عن اسعار الطبع قال لك : الكلام على حرفٍ مشكل او حرف بدون شكل ؟ لان نفقات المشكل تربو على نفقات غير المشكل نسبة لزيادة العمل . صفاف الحرف اللاتيني (ولكن اليوم لا يصفون الحروف بل يستعملون طريقة اللينوتيب) يعالج حروفه التي تكون في قرابة ٣٠ خانة . اما صفاف الحرف العربي فامامه بضع مئات من هذه الخانات .

ضوابط الجملة (: Punctuation)

وقبل ان ننهي الكلام عن صعوبة الخط العربي يجدر بنا ان نذكر شيئاً عن ضوابط الجملة ، وهي التي يسميها بعضهم علامات الترقيم (ولا ادري لماذا !) ويسميها البعض الآخر علامات الوقف ، او علامات الاملاء ، اما نحن فنرى انها علامات لضبط الجملة من جهة القراءة . ومعلوم ان الخط العربي خلو من هذه العلامات وهي ضرورية جداً جدّاً ، وتعين القارىء ، كبيراً كان ام صغيراً ، على تفهّم المعنى .

وعندنا ان اقتباس العلامات الفرنجية هو افضل طريقة ولا سيما لانها تقريباً موّحدة في اللغات الاوربية . وهي علامة الوقف (.) وعلامة السؤال (?) وعلامة التعجب او التأثر (!) وعلامة الاقتباس او التنصيص كما يسميها البعض (« .... ») وعلامة الحذف (....) والفاصلة (،) وهي للوقف الجزئي ، وخطان

للجملة المعترضة او التفسيرية ، وعلامة لما يتـــلو (: –) والقوسين ( ) لعبارة او لفظة لا تشكل جزءاً حيوياً من الجملة بل تكون بدلاً او تفسيراً . ونحن نرغب في ان نرى كتبنا العتيدة مطبوعة على هذا الشكل .

حل مشكلة الخط العربي :

قد يكون ، في نظر القارىء ، بحثُ اصل الخط ومشاكله من الامور الثانوية اذا ما قيست بالوجهة الايجابية : ما العمل ؟ وكيف نتلافى هذه الصعوبات ؟ وكيف تُحلّ المشكلة ؟

لم تعد مسألة الخطّ موضع شكوى وتذمر من الاساتذة والطبّاعين ، بـل تعدّت هذا النطاق الى المجامع والهيئات العلمية التي تُعنى بالثقافة . ومن الخير ان يُبحث تيسير الخط على هذا الصعيد ، لاننا نعتقد مخلصين انه مهما بـذل الافراد من جهود في هذه النواحي فستظلّ كصرخة في وادٍ . ولكن عندما تعالجها هيأة لها وزنها ، ولها كلمتها في العالم العربي ، يكون لكلمتها وقع في العالم العربي . واننا نتطلع الى اليوم الذي يقول فيه مجمع فؤاد الاول للغة العربية في القاهرة كلمته الاخيرة في الموضوع ، لان امر تيسير الخط موضوع على بساط البحث ، وقـد قدّمت اليه اقتراحات عديدة ، لم ينظر في كثير منها لبعدها عن التيسير ، ولكنه بحث بعضها . وهناك جائزة مالية كبيرة لمن يقدم احسن اقتراح لحل المشكلة .

وقبل ان ندلي برأينا المتواضع نحب ان نطلعك على خلاصة مـــا دار من ابحاث وما قدّم من اقتراحات لتكوّن انت لنفسك رأياً خاصاً . وعندمـا نعرض المشاكل الفكرية والاجتماعية عرضاً علمياً ، وعندما يتكوّن رأي عام ، عندئذٍ فقط نستطيع ان نخطو الخطوة التالية وهي التقرير ثم التنفيذ . العيبُ في جميع مسائل الفكر في العالم العربي انها تبحث على صعيد عالٍ ، من فوق ، ولا تبدأ من تحت ، من الجماهير . وغرضنا من هذا العرض السريع ان نطلـع

الجماهير على المشكلة ، وما يدور حولها ، كي يتكوّن رأي عام تستنير بـه الهيأة التي لها القول الفصل .

وانت لا يهمك ان تعرف اسماء الاشخاص الذين قدموا اقتراحات بقدر ما يهمك ان تعرف شيئاً عن هذه الاقتراحات . يمكن حصرها في ثلاث فئات :

(أ) فئة يرى اصحابها ابقاء القديم على قدمه. يقولون ان هذا الخط انما وُجد لهذه اللغة فلا يناسبها خطٌ آخر . فضلاً عن انه خطٌ جميل اختزاليّ بشكله ، ويُعبر نفسه الكتابة الزخرفية . ولكنهم يسلّمون بانه خطٌ ناقص ، ولكن السلف الصالح سدّ هذا النقص بالتنقيط والحركات والضوابط ، فهم يقترحون ، منعاً للالتباس ، وتسهيلاً للصغار ، ان تطبع الكتب والمجلات والجرائد محرّكة. ثم يضيفون امراً آخر هاماً – ونحن نوافقهم في هـــذا – وهو تحسين اساليب تدريس اللغة وتحبيبها الى النشء الصغير . يقولون ان في كل لغة صعوبة ملازمة لها ، وفي كل لغة شواذ ، والتعلّم مراسٌ وضبط نفس ، فلا ينتظرنّ الصغير ان تأتيه اللغة عفواً دون بذل مجهود .

(ب) فئة يرى اصحابها تيسير هـذا الخط . وهم ينقسمون الى فئتين ، فئة ترى رسم الحركة مـع الحرف كما هـو الحال في الحرف الحبشي . في الحبشية لكل حرف ٣ اشكال مع الفتحة والضمة والكسرة. وفئة تُيسّر الخط وتضيف الحركات على نحو ما هو جارٍ الآن . واحسن مثالٍ على تيسير الخط – واقربهم الى التيسير – الابجدية الموحدة للسيد نصري خطّار(١). فقد ابقى على شكل الحروف العربية (القريبة الى الكوفية) وجعلها مفصولة ، وبذلك سهل امر الطباعة (كما اسلفنا) وسهل على الصغار تعلمها بسرعة . ولكن من ينظر في غيرهـا من مقترحـات التيسير يشعر انها اقرب الى التعسير منها الى التيسير . فهجاء علي الجارم، الذي نظر فيه المجمع، لاقى مقاومة عنيفة على اساس انه يعقد

(١) راجع مقالاً لنا عنها في مجلة « الكلية » عدد آذار ١٩٥٢ .

الكتابة ويستلزم معرفة قواعد عدّة . ونحن ، عوضاً عن ان نبيّن سيئاتها او محاسنها ، فقد وضعنا امام القــارىء بعض نماذج (راجع الرسوم) ولا شك انه يوافقنا على انها قبيحة وعلى ان الخط القديم، قبل هذا التيسير، اجمل وابسط !

حروف الهجاء العربية ، اقتراح مصطفى الشماع
السطور الثلاثة الاولى : « بسم الله الرحمن الرحيم »

فاروق الاول ملك مصر

اقتراح حسين منصور

(ج) وفئة ترى استبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني على انه احسن حرف لتأدية الالفاظ ، ولا سيما اذا ادخلنا عليه بعض التعديلات ، كأن يستغنى عن امثال th التي تمثل ث و sh = ش ويستعاض عنهـا بحرف واحـد . ومن القائلين بهذا الرأي عبد العزيز فهمي باشا . وقد وضِع اقتراحه موضع البحث . وكان له مريدون ، وكان له معارضون . وقد ردّ عليهم في سلسلة مقالات جمعها ونسّقها بعدئذ وطبعت في كتابٍ واحـد ألمعنا اليه (١). ونحب ان يطلع عليه كل من له في الامر لذة .

(١) الحروف اللاتينية لكتابة العربية ، القاهرة ١٩٤٤

وانت اذا نظرت في ردود المعارضة لوجدت الكثير منها ما هو مردود، لانه بعيد عن المنطق ، كقولهم انه اختزالي (وقد بيّنا فساد هذا الرأي) وانه جميل ، وانه احسن خط يلائم اللغه العربية ، وما اشبه ذلك . غير ان الاعتراض

(٢) خير البر ما تعهد به المرء نفسه ، وخير بر النفس أن تربأ بها عن مواقف الاعتذار

السيف أصدق إنباء من الكتب

في حده الحد بين الجد واللعب

اقتراح علي الجارم . خير البر ما تعهد به المرء نفسه وخير بر النفس ان تربأ بها عن مواقف الاعتذار . السيف اصدق انباء..

بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقِهِ

اشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ

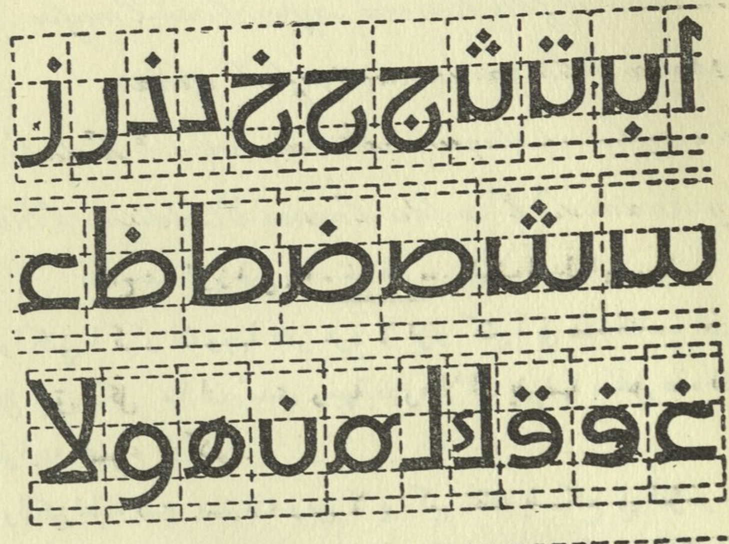
اقتراح سليمان محمد سليمان

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَاتَّهَمْتُ حَصَاتِي

اقتراح محمد شيت الحياوي

الذي عَمِل عَمَل السيف في مقترح عبد العزيز فهمي هو ان هذا الخط يفصلنا عن ميراثنا الادبي والديني. ماذا يحدث للقرآن ؟ وماذا يحل بالمكتبة العربية الادبية

والتاريخية ؟ وهو لعمري اعتراض حري بالدرس . اما عبد العزيز فهمي فيقول ان الامر ايسر مما يتصوره المعارضون المتزمتون : بضعة ملايين من الجنيهات تكفي لاعادة طبع كل ما هو حري بالبقاء بالحرف اللاتيني وحرق او اهمال ما لا قيمة له . ويقول انها فرصة ســـانحة للتخلص من كثير من الغث . وهذه الملايين القليلة ليست شيئاً بالنسبة لما نوفره من المال في الطباعة ، ناهيك عن تقليل عدد السنوات في تعلمها .



الابجدية الموحدة وضع نصري خطار

ولا شك ، بعد ان وصلنا الى هنا في بحثنا ، انك تُحب ان تعلم رأيي . من دراستي المستعجلة لجميع هذه المقترحـــات لا أرى سوى اثنين : (١) الابجدية الموحدة ، هذا اذا لم نُرد ان تكون طفرتنا قوية ، واذا لم نُرِد ان نتنازل

عن خطنا (٢) الحرف اللاتيني مع التعديلات التي اقترحها عبد العزيز فهمي . واذا خيرت ، او اذا وُضع الامر للتصويت فانا مع الحرف اللاتيني ، لانني لا ارى حلاً للمشكلة ما لم تُحرَّك الكلمة وما لم يُضبط لفظها وشكلها . والحرف اللاتيني يستطيع هذا .

(٣) - żayru-l birri mā taεahhada bi hi-l
marзu nafsa hu, wa żayru birri-l nafsi-an
tarbaзa bihā εan mawāqifi-l εtidār.

Al sayfu aεdaqu inbāзan min-l kutubi
fiy εaddi hi-l εaddu bayna-l żiddi wa-l laεib

اقتراح عبد العزيز فهمي باشا . خير البر ... السيف اصدق انباء ...

ولكنني اكرّر ان وجهة نظر فردٍ لا تؤثر كثيراً في هذه الناحية الحساسة . ولكل يحق لكلٍ منا ان يُبدي وجهة نظره لا ان يفرضها . تُحل هذه المشاكل اذا ارادها المجموع الاكبر .

ولكن الحياة تسير مسرعة، ومن لا يواكبها تخلفه يتسكع في المؤخرة. اللغة ليست لنا، لاننا زائلون. بعد نصف قرن يموت كلُّ من سيقرأ هذه المقالة (الا اذا قرأها الاحداث ولا اخالهم بفاعلين) ولكن اللغة ستبقى الى ماشاء الله . فعلينا ان نأخذ بعين الاعتبار هذه الاجيال المقبلة التي لا يعرف عدّها الا ربك واجد الوجود.

وفي التاريخ الاسلامي والفقه الاسلامي من المرونة والليونة ما يشجع على الاقدام على الصالح النافع . الا يقولون : « الضرورات تبيح المحظورات » و « درء المفاسد اولى من جلب المصالح » وما قولك في مبدأ « الضرر يُزال »؟

الجامعة الاميركية
انيس فريحة

DATE DUE
